ليلة في جهنم

أيام مع الباشا

info@darak-egy.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

ليلة في جهنم (أيام مع الباشا)
حسن الجندي
تصميم الغلاف: أحمد الصباغ
تدقيق لغوي: سارة صلاح
رقم الإيداع: 2020/2388
الترقيم الدولي: 978-977-6634- 42-8
الطبعة الأولى: 2020

حسن الجندي

ليلة في جهنم

أيام مع الباشا

رواية

دارك
للنشر والتوزيع

في تلك القصة يختلط الواقع بالخيال، فإن أردت التمييز بينهما.. عليك بتصديق ما يكذِّبه عقلك..

الفصل السابع

ما حدث

2005

منزل أبو خطوة

وقف (عمر) أمام باب المنزل الحديدي يشبك يديه أمام صدره ناظرًا حوله بشكل عشوائي كل دقيقة، مرت سيارة ملاكي من أمامه لكنها توقفت بعد المنزل بقليل، خرج من المقعد المجاور للسائق (أليكسندر) يرتدي بذلة بنية اللون حاملًا حقيبة جلدية عريضة أقرب لحقيبة الملابس المحمولة.

حاول (عمر) تبيُّن شكل السائق لكنه فشلَ و(أليكسندر) يسير ناحيته مبتسمًا وهو يرفع رأسه لينظر للمنزل بين الثانية والأخرى، صافحه بحرارة ونظر للمنزل بتأثُّر شديدٍ و(عمر) يقف بجانبه.

- "عرفت توصل للبيت بسهولة؟"

- "الدنيا اتغيرت لكن البيت زي ما هو، أنا عمري ما أنسى مكانه."

فتح (عمر) البوابة الحديدية الصغيرة ودخل للمنزل، لكن (أليكسندر) توقف للحظة وهو ينظر خلفه على الجانب الآخر للطريق، كأنه يبحث عن الشخص الذي رآه يقف هناك في حلمه.. لم يجد أحدًا فسحب شهيقًا عميقًا من الهواء المحيط به ودخل من البوابة الحديدية وراء (عمر) الذي وقف ليفتح الباب الداخلي بمفتاح منفرد أخرجه من جيبه.

- "أنا ملاحظ يا أستاذ (عمر) إنك مجبتش معاك أدوات حفر."

فتح (عمر) الباب وهو يرد:

- "أنا عديت على البيت من كام ساعة وسبت جاروفين."

- "بس."

- "إنت مطلبتش امبارح عدة حفر، ولا طلبت عمال."

دخلا المنزل و(أليكسندر) يقول:

- "إحنا فعلًا مش محتاجين الحاجات دي كلها، بس كأنك عارف إيه اللي هايحصل قبل ما يحصل."

بدا أن الهواء داخل المنزل أكثر سخونة بقليل من خارجه و(أليكسندر) يحرك وجهه مبتسمًا وهو ينظر إلى بئر السلم المليء بالأتربة، توجَّه (عمر) إلى الشقة التي على يسار المدخل ودخلها وهو يقول:

- "طبعًا الحاجة المدفونة هاتكون في الشقة دي."

تبعه (أليكسندر) قائلًا:

- "الظاهر الحلم اللي إنت حلمته كان فيه تفاصيل كتير."

الهواء ساخن داخل الشقة بدرجة أعلى و(عمر) يشعل أضواء المصابيح الباهتة المعلقة في سقف الصالة.. في أحد أركان الصالة جاروفين بيد طويلة وجوال من الجلد يستخدم في حمل الرمال، نظر (عمر) لأليكسندر وهو يقول:

- "أدي الجمل وأدي الجمال.. تحب نبدأ إزاي؟"

تأمل (أليكسندر) صالة الشقة وهو ينظر للحوائط الملطخة ويقول:

- "المدبحة حصلت هنا؟"

- "إنت أكيد عارف حكايتها طالما قدرت تعرف إني بحب العناب."

- "الناس فاكرة إن البيت ده مسكون، بس العفاريت والجن بالنسبة للي شُفته مع جدك بقى ترف."

- "عمر ما جدي حكالي عنك."

ترك (أليكسندر) حقيبته على الأرض وذهب ليحضر الجاروفين وهو يقول:

- "أنا وجدك قدرنا نفصل بين حياتنا الشخصية وبين شغلنا، زي ما جدك علِّمك بالظبط."

رفع الجاروفين بسهولة ودخل بهما إلى أول غرفة على يمين الداخل إلى الشقة وصوته يأتي من داخل الغرفة:

- "حياتنا الشخصية دايمًا في النور، وشغلنا في عالم ظلامي، وإحنا فيه مجرد ظلال بتتحرك."

دخل (عمر) في تلك اللحظة وضغط على زر الإضاءة داخل الغرفة فاشتعل المصباح لتنعم الغرفة بإضاءة باهتة و(عمر) يقول:

- "ولو انهار الخط الفاصل بين العالمين واختلطت الضلمة بالنور.. حياتنا تتدمر."

ابتسم (أليكسندر) وهو يقترب من (عمر) ويقول:

- "جدك قالك على المبدأ ده، اللي علمنا كده كان صاحب تالت لينا، كان سبب اجتماعنا وسبب فراقنا."

قال عبارته ثم أمسك بجاروف ناوله لعمر قائلًا:

- "يلّا نبدأ شغل، مش هنحتاج نحفر كتير، الرمل اللي في الأوضة ده مش أكتر من متر ونص عمق، بعديه هانلاقي المدخل."

خارج الشقة وبالتحديد عند السلم المؤدي إلى الطابق الأول، هبط (جعفر) من الأعلى بخطوات جعلها غير مسموعة كما طلب منه (عمر) منذ ساعة، أرهف السمع ليستمع لبقية الحوار الدائر بينهما منذ دخلا من باب الشقة، الحوار يأتي كفحيح الثعابين يميز منه بضع كلمات بين كل مجموعة من الجمل، لذلك فضَّل الجلوس على السلم بهدوءٍ حتى يحين موعد دخوله إن كان لدخوله سبب.

في داخل الغرفة وقف (أليكسندر) حاملًا الجاروف وهو يحفر بحماسٍ شديدٍ ويزيح الرمال الصفراء وعلى وجهه فرحة حقيقية كأنه طفلٌ يحاول فتح هدية عيد ميلاده بشوق.

- طب ما تقلع جاكيت البدلة علشان تعرف تحفر.

قال (عمر) عبارته وهو يتناول الجاروف ويحفر بجانبه بحذرٍ، لم يرد عليه (أليكسندر) وهو يزيد من سرعة الحفر وتركيزه كله ينصب على ما يفعله بينما قطرات العرق تتساقط بسرعة من جبهته بسبب سخونة الهواء داخل الغرفة، مرت ربع ساعة وهما يحفران حتى اصطدم جاروف (عمر) بمعدن صلب، توقف عن الحفر وتراجع خطوةً للوراء مجفلًا، صاح (أليكسندر) بكلمة روسية وهو يلقي بجاروفه أرضًا وينزل على ركبتيه عند موضع حفر (عمر) ويزيح بيده الرمال لتظهر

أرض صلبة صفراء اللون، لم يعرف (عمر) ما يفعل فهو لم يشاهد من قبل مدخل قبر أو دفين من معدن، لكن بعد دقيقة من إزاحة الرمال ازداد تشككه وهو يرى خطوطًا متصلة محفورة داخل تلك الأرض المعدنية، خطوطًا أكثر قربًا لمتاهة كالتي تجدها في كتب التلوين، صاح (أليكسندر) بالعربية:

- جهز نفسك علشان نفتح المقبرة.

أنهى عبارته ونهض مسرعًا إلى خارج الغرفة عند حقيبة السفر التي أحضرها معه، فتحها وأخرج منها بضع أدوات وقارورة زجاجية فارغة وعاد للغرفة وهو يشير لذراع (عمر):

- شمر دراعك علشان أسحب دم منك.

- إنت اتجننت.. دم إيه اللي تسحبه مني؟ مفيش رصد بيتفتح بالطريقة دي، ثم أنا مش فاهم إيه الأرض الحديد اللي لاقيناها؟

أخبره (أليكسندر) بنفاد صبرٍ أن الأرض المعدنية هي البوابة الأولى التي يجب أن يتخطوها، والطريقة الوحيدة هي أن يسحب الدم منه لينثره بين الفتحات المحفورة، لا توجد طريقة لفتح المكان سوى بدماء نسل عائلة (أبو خطوة).

- جدي (سيد أبو خطوة) ماقالش حاجة زي كده.

- لأنه كان قرر إن السر يموت معاه وماحدِّش يفتح البيت من بعده.

- مستحيل تكون دي طريقة لفتح مقبرة، دمي هايتعرف إزاي؟ هو فيه جهاز لتحليل (الدي إن إيه) تحت.

ضحك (أليكسندر) بعصبية وهو يمد يده لذراع (عمر) الأيسر بشيء من العنف ويشمر عن ساعده، وهذا الأخير قد استسلم له وتعبير الدهشة والشك لم يغادر وجهه، وضع محقنًا باحتراف عند أحد أوردته وأوصله بخرطوم قصير لزجاجة فانسال دم (عمر) ببطءٍ يملأها وهو ينظر لأليكسندر ويقول:

- ده مش رصد ميكانيكي، وحتى لو كان كده فمفيش منطق يبرر اللي بتعمله ده.

- إنت ماتعرفش قيمة أجدادك يا (عمر)، إنتوا حُرَّاس وادي هنم.. جهنم، جدودك كان معاهم الطريق اللي يفتحلهم أسرار الكون لكنهم اكتفوا إنهم يستنوا، أنا وإنت هانبدأ هانغير العالم.

لم تَرُق كلمات (أليكسندر) له وهو ينظر بعينٍ متسعة للقارورة التي اقتربت من الامتلاء حتى منتصفها، كلماته كأنها خرجت من مجنونٍ بأحد الأفلام الأمريكية، لكن فضوله لاكتشاف ما تحت المنزل والذي تفشل خدمته من الجان في

معرفته كان دافعه، كما أن شغفه لمعرفة نهاية الأحداث جعله ينتظر بصبرٍ كما هي عادته، قديمًا كان يحب مشاهدة الأفلام التي يشعر في بدايتها بالملل حتى النهاية، فربما وجد مفاجأة تغير وجهة نظره للفيلم، عادة قميئة لازمته طويلًا وها هو ينتظر أن يعرف ما وراء هذا الرجل الروسي، ولكن هذا الفيلم غير ممل، إنه مرعب.. خطر خاطر في عقله فجأة فقال لأليكسندر:

- إنت تعرف مهندس اسمه (هيثم)؟

- صاحبك اللي كان بيدور ورايا، ما أعرفوش شخصيًا لكن أيوه أنا اللي سربت ليه المعلومات اللي جابها ليك، معلومات مفيهاش حاجة صح إلا اسمي.

- ليه عملت كده؟

كانت القارورة قاربت على الامتلاء فنزع المحقن من ذراعه ووضع لاصقًا طبيًا على موضعها وهو يأمر (عمر) بالضغط على مكان خروج المحقن ثم يقول:

- لأن (هيثم) دا مكنش هايعرف يوصل لأي حاجة، وده كان هايخليك تقلق وممكن ماتقابلنيش.

وكأن ما يقوله طبيعيًا، أخذ القارورة وثبت على غطائها مضخة صغيرة لتدفع الهواء داخلها ويخرج الدم من خرطوم صغير، قرب الخرطوم من الفتحات المحفورة بالأرض وضغط